يا ابنـــة الشارع . . . !

للأستاذ كامل محمود حبيب

على رِسلك ، يا ابنة الشارع ، وادفني حزازات صدرك إن أنا انطويتُ عنك ، فلقد لمستُ في خواطرك أشياء جذبتني عنك

إن تاريخ قلبينا ابتدأ في الشارع ، وشبّ واشتد في الشارع ، وتوثقت بيننا أواصر الحب تحت شجرة وارفة في روضة أُنُف

ولجّ بنا الهوى فتساقينا أكؤسه على حيد الطريق تحت ستر الظلام في (الجزيرة) و (الزمالك) و . . . حيث لا حس ولا حركة

وصحوتُ — يا من أحب — من غفوتي ، فإذا أنا إنسان تريدين أن تنفثي فيه روح الذئب . وأحسستُ مرارة تلك الخلس تتفجر في قلبي ، فعزفتُ عنها

ثم أردتُ وأردتِ ، فانطلقتِ إلى أبيك أحدثه حديث زواجي منك فما تمهّل ، وإلى أمك فشاعت النشوة في مفاصلها ، وأنتِ تمهدين الطريق ؛ فسميت عليّ . . .

غير أني انطويت عنك حين لمست في خواطرك أشياء جذبتني عنك ، فلا تحقدي عليّ ، يا ابنة الشارع

ولما خرجت إلى الشارع — أول ما خرجت — أخذ زخرفه وازين وتلقاك في ابتسامة حلوة رقيقة ؛ لأنك كنت زهرته اليانعة النضيرة ، ونوره المتلألئ الوضاح

ورآك الشاب — أول ما رآك — فانبسطت أساريره ، وأفسح لك من رقته مكاناً سامياً

وتبارى الشارع والشاب ، كل منهما يحتفل بك فنوناً ، وفي رأيه أنها ساعة من زمان ، ثم ينقلب الطائر الفريد إلى وكره

ولكن شيطانينك الثائرة أبت أن تلم من نفسها ، فاندفعت إلى شر غاية حين سَرَكِ أن تفترق الطرف وتسيطري على القلب

واستشعر الشارع فيك عاره فراح يقذف بك من جانب إلى جانب في بغض وكراهية ، وعبث بك الشاب حين رأى فيك لهو نفسه وشغل فراغه ، على حين قد أغضيتِ أنتِ

وحاولتُ أن أردك عن غوايتك فأغلقت من دون حديثي مسمعيك ، فانطويت عنك ، فلا تحقدي عليّ ، يا ابنة الشارع

* * *

وأوشمت في حمايتك ، وأنا أريد صلاح أمرك ، وجئت تناقشين وتفاطنين وفي حديثك الزور ، كأنه بعض هاتيك الأصباغ التي تموهين بها على الناس ، وانطلق لسانك يطمع في أن يدلل على أن المرأة هي نور الحياة وبهجتها وجمالها الساطع

وتبدت لي فلسفة المرأة الفجة في كلماتك الخاوية ، وفي عيني أن المرأة عذاب القلب والنفس والعقل والدار جميعاً ، لا يخلص الرجل من واحدة إلا ليرتدغ في واحدة

وسخرت من الدار ، فسخرت هي من انصداع شملك وتشعب غايتك ؛ وانفلتّ من حدود المرأة ، فانفرجت لك الحياة عن مأساة لا تنتهي ، وأصبحت أضحوكة الشارع ، لأنك تمثلين على مسرحه كل يوم مهزلة ؛ وتصنعت للرجل فألفيت فيه الصاحب ، وافتقدت فيه الزوج

ولزت فتاة الدار فرقاً من أن تسمو عليك ، فذهبتُ أثير فيك نوازع مكفوفة على أستل جماع رأيك ، فقلت : « لاريب ففتاة الدار هي في رأينا مطية الدار ، وهي بنت السجن ، وهي عَيْر الحي و . . . ثم كيف تجد الزوج ، وهي في غياهب البيت وظلام الحياة ؟ »

فقلت : وإذن ففتاة الشارع قد حطمت هذا القيد الذهبي لتبحث . . . لتبحث عن الزوج ؛ وهي في بحثها تقارن وتختار اختياراً فاجراً ، وتعرض على عيني الرجل الغريب ، في سوق الزواج ، محاسنها القبيحة وقبحها الفتان . ولا عجب إن هي ضلت الطريق ففقدت الدار والزوج معاً !

وقلت : إن اختلاط المرأة بالرجل يعلمها حكمة لا يتطلى عليها خداع الشاب ولا مكره ولا حيلته ، وللشاب أساليب ملتوية يفتر بها الشيطانة . فقلت : يا سيدتي ، إن الجدار سد يحول بينك وبين خير الشاب وشره

وقلت : إن المرأة تجد — خارج الدار — حياتها وعملها وكسبها . فقلت : قد خلقت المرأة لتكون أماً ، وليس في الشارع أطفال سوى اللقطاء

وقلتِ وقلتُ ...

ثم أعيتنى الحيلة فانطويت عنك لأنك ترفعت عن أن تكونى سيدة الدار ، وفى رأيى أنك هويت لتكونى ابنة الشارع

* * *

أتذكرين يوم أن جئت لك بقناع يدرأ عنك العين المتطفلة النهمة ؟ لقد كان صفيقاً هوناً ما ، يا عزيزتى ، فطرحته جانباً وأنت تقولين « لو كان رقيقاً ! » فاستبدلت به غيره ، غير أنى رأيت الكراهية فى ناظريك ، فخبوتك غيره ... ثم اشتريت أنت نقاباً يروق لك ، فجاء يسخر منك لأنه لا يوارى إلا ما يوارى الأبيض والأحمر من مقابحك

وهذا الجورب الذى أرغمتك على لبسه كان موضوع جدال يحتدم مرة ثم يخبو ، لأنك تعلمت فى مدرستك التعنت فى الرأى

لقد تلقنت فى المدرسة علماً ألقى بك بين أحضان الشارع لأنه فتح أمامك باب الحرية ، وهو أيضاً قد قذف بالشاب ليتسكع فى تيهاء من أمره لأنه سد أمامه باب العمل

وهذا اللباس القصير ، إنه يكشف عن شىء ، وإنه ليتألق فيجذب إليك البصر

أفرأيت — يا صاحبتى — الزهرة تزهو بلونها لتجذب إليها الحشرة فتمتص رحيقها ثم تطير وقد قضت منها وطراً ؟

لا ضير ، فلقد صُمَّ على الأمر وضلت فيك فلسفتى ؛ فانطلقت ألتمس راحة نفسى وهدوء خاطرى

وخلفتك من ورائى ، فى هذا الشارع ، تضطربين بين آذى الحياة المتلاطم

ويا عزيزتى ، هذه السيارة الجميلة التى أتأنق فيها ، إنها من وحى غطرستك ، فهل تجدين لذع فراقها ؟

وهذه الدار الصغيرة قد رتبتها يدك على نسق ونظام لتكون لك عشاً آمناً فهل وجدت فقدها ؟

* * *

وتلك الأيام الناعمة البهجة ، أيام الهوى الغض ، حين كنا نتلاقى عند الأصيل على شاطىء النيل ، نتجاذب أحاديث الغرام ونفتن فى أساليب الحب ، وهذا الأمل الذى سطع فى قلبك وقلبى ... ثم خبا ، أفتذكرين سطراً من هذا التاريخ ؟

كلا ، كلا ! فأنا قد رأيتك بالأمس تسيرين إلى جانب شاب يخدعك وتمكرين به فعرفت أنك أنت ابنة الشارع ، لا عهد لك ولا ذمة ، ولا غرو فلقد خرجت إلى الشارع تفتشين عن الزوج

فهذا عذرى إليك حين انطويت عنك وفى رأيى أن حرية المرأة هى فجورها ، وأن خروجها من دارها هو فسقها فيا ابنة الشارع ، كونى من تشائين إلا أن تكونى زوجة لى .

(مشهر) أمل محمد حبيب

من شجو الربيع

عطر من الله . . . !

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

... وَلَمَّا وَصَلْتُ (الْقَصْرَ) كَبَّرَ خَافِقٌ
بِجَنْبِيَّ أَوْهَى حِكْمَةَ الْجِنِّ جُرْحُهُ !
وَرُوِّعَ لَيْلٌ لِلْهَوَى ماتَ فَجْرُهُ
وَفى وَاحَةِ النِّسْيَانِ وُورِىَ صُبْحُهُ !
وَجُنَّ بِصَدْرِى بُلْبُلٌ ذَابَ شَجْوُهُ
عَلَى فَمِهِ ، وَارْتَدَّ لِلرُّوحِ نَوْحُهُ !
وَشَقَّتْ ضَبَابِى هَالَةٌ لَيْتَ نُورَهَا
يُخَلِّدُ فى آفاقِ عُمْرِيَ لَمْحُهُ
وَكَادَ يُزَاحُ السِّتْرُ لَوْلاَ قَدَاسَةٌ
تَعَالَى بِهَا عَنْ عالَمِ النَّاسِ جُنْحُهُ ! . . .
فيا طائرًا هَدَّتْ يَدُ الرِّيحِ عُشَّهُ
وَنَغَّصَ أَحْلاَمَ الاليفَيْنِ دَوْحُهُ
عَذَابُ الْهَوَى عِطْرٌ مِنَ اللهِ نَافِحٌ
يُطَهِّرُ آثامَ الشَّقِيَّيْنِ نَفْحُهُ . . .

(ديوان المعارف) محمود حسن اسماعيل